تقـــديم

-١-

وانطلق الإسلام فى الجزيرة العربية ، يحمل فى داخله بذور التفتح على الحضارات الأخرى ، ومن خلال ذلك المنهج الوسطى ، الذى يجرى وراء الحقيقة أين كانت ، ويمتص الصـــالح عند الآخرين ، ثم يضم كل ذلك فى أنظومة أخيرة ، لها طـــابعها الخـاص .

(راجع : الوسطية العربية ٢٥٣/١ ، دار المعارف - الطبعة الثالثة - القاهرة) .

ولم تكن الحضارة العربية الإسلامية مجرد «جسر» يربط بين الحضارات الأخرى ، ولم تكن مجرد «همزة وصل» بين الحضارة الإغريقية والحضارة الأوروبية ، بل كانت فى حقيقة أمرها تمتص الحضارات الأخرى ، لتشكلها فى النهاية فى عصارة جديدة ، هى الحضارة العربية الإسلامية ذات الطابع الإنســـانى ، فهى عربية إسلامية من جهة ، وهى انسانية من جهة أخرى ، أو بعبارة أخرى : هى امتداد للحضارات الإنسانية العالمية ، ولكن من خلال طبعة جـديدة ، مزيدة ومنقحة ، وهى الطبعة العربية الإسلامية .

-٢-

وتناهت الحضارة العربية الاسلامية إلى صعيد مصر ، وتفاعلت مع خاصتين من خصائص هذا الإقليم ، وهما : المحافظة والتجدد .

وقد تبدو هاتان الخاصتان متناقضتين ، ولكن هذا فى الظاهر فقط ، فهما يصطلحان داخل الإنسان المصرى ، ويتحـــدان فى خاصة واحدة . أو بعبارة أكثر وضوحا : يأتى التجدد عن طريق التقاليد المرعية ولا يتم طفرة واحدة ، يتم خطوة خطوة وعلى نار هادئة ، وحين يتم التحول يتجذر فى المجتمع المصرى ، ويصبح تقليدا يصعب الخروج عليه .

ظل العرب سنين طويلة فى صعيد مصر معزولين لا يندمج معهم المصريون ، فقد كانوا فى أول الأمر يمثلون العنصر الحاكم ، تجب لهم الطـاعة والاحترام ، ولكن من بعيد . فللمصرى عالمه الخاص ، وتقاليده الخاصة ، بل ولغته الخاصة .

واطمأن المصرى إلى الوافد الجديد ، وأحس أنه يحمل عقيدة المساواة والعدالة

والحرية ، وأنه يختلف عن الغزاة الأخرين ، فهو لا يريد مصر بقرة تحلب ، أو حقل قمح ينتج ، ولكنه كان يحمل معه عقيدة دينية تتمثل فى القرآن الكريم . حينئذ خرج المصرى من عالمه الخاص وعزلته الرهيبة ، واعتنق الدين الجديد ، واستخدم اللغة العربية . ومن ناحية أخـرى تنازل العربى عن كبريائه ، فهو ليس فاتحا عسكريا فحسب ، بل هو يحمل عقيدة حضارية ، ولا يمكن للعقيدة ان تنجح إلا اذا تفاعلت مع الأخرى ، فالدين لا يغرض عن طريق القوة ، ولكن يعتنقه الناس حبا وإيمانا . تنازل العربى عن كبرياء الفتح ، واحترف مهنة الفلاحة ، واندمج مع المصرى ، وصاهره واعتنق عاداته وتقاليده .

وتفاعلت المحافظة مع التجديد ، وكانت النتيجة ذلك الاندماج بين العربى والمصرى ، فى حضـارة واحدة تمتص حضارة الفراعنة والقبط والحضارات الاخرى ، وتمثل فى النهاية الحلقة الأخيرة ، التى لا تنفى السابقة ، ولكن تكون امتداداً فى صورة جديدة وغنية .

وتمثلت الحضارة العربية الإسلامية ذات الطابع الإنسانى ، فى مراكز علمية تناثرت فى أرجاء الصعيد ، فى الفشن ، والبهنسا ، وبنى عبادة ، والمنيا ، ومنفلوط ، وأسـيوط ، وجرجا ، وقنا ، وقفط ، وقوص ، وادفو ، وإسنا ، وأسوان ، أى فى منطقة شاسعة ، تمتد من الجيزة شمالا وحتى أسوان جنوبا .

وظلت هذه المراكز تعطى ، تحفظها روح المحافظة من الاندثار ، قد تتعرض المنطقة للغازى والمستعمر ، ولكنها أبدا لا تسلمه نفسها ، ولا تفرط فى ثقافتها ، قد يتوارى هذا التراث فى المساجد والكنائس والأديرة ، وفى صدور الشيوخ ، وفى قلوب العامة ، ولكنه يظل باقيا ، يتحين الفرصة المناسبة ، لكى يطفو على السطح من جديد .

-٣-

وجاء الاستعمار الفرنسى إلى مصر ، ونطق حجر رشيد بأسراره ، واكتشفت الحضارة الفرعونية ، وسجلت آثارها فى كتاب «وصف مصر» ،

وبدأ الاهتمام الآثار الفرعونية ، وتناهى هذا الاهتمام حتى أصـبح سمة حضارية معاصرة ، وحتى أصبحت هناك هيئة للآثار لها وحداتها فى كل مدينة من مدن مصر .

نحن لا نعترض على ذلك . فهو وجه حضارى ، نحث عليه ونطالب بالمزيد ، ولكن فى الوقت نفسه نطالب بقدر مساو من الاهتمام بالمخطوطات العربية المتناثرة فى

أرجاء الصعيد ، ولا ننتظر حتى تأتى حملة أخرى من الغرب تعلمنا الاهتمام بهذا التراث ، وحينئذ نكتشفه وكأنه لم يكن بيننا ، وحينئذ نندفع فى الاهتمام به وكأنه سمة حضارة معاصرة نتباهى بها .

ومن هنا كانت الحاجة ملحة إلى إنشاء هيئة على مستوى الصعيد للحفاظ على هذا التراث ، الذى لا يتحمل ما يتحمله الحجر ، ومن هنا كان القرار بإنشاء «مركز المخطوطات العربية » ليتابع هذه المخطوطات فى مراكزها المتناثرة فى أرجاء الصعيد ، ومن هنا جاءت المادة الثالثة من لائحة المركز ، لتؤكد فى فقرتيها الثانية والثالثة هذا التصرف : -

« ٢- المحافظة على تراث الاقليم خشية اندثاره أو ضياعه ، والعمل على إظهاره بطريقة علمية تفيد الباحثين .

٣- وضع هذه المخطوطات تحت تصرف العلماء والباحثين للافادة منها بالشروط والأوضاع التى يحددها مجلس إدارة المركز» .

-٤-

ولم يكن صون التراث فى إقليم الصعيد هو الهدف الوحيد للمركز ، وإلا أصبح مركزا متعصبا ، يسئ إلى تراثه أكثر مما يخدمه . ومن هنا كانت الأفكار الأخرى واضحة فى وضع هذا التراث فى صورتيه القومية والعالمية ، ومن خلال الاحتكاك بالهيئات المماثلة ، ومن هنا جاءت الفقرتان الرابعة والخامسة من المادة الثانية ، تؤكدان هذا الاحتكاك : -

٤- تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية ، فى سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات ، خاصة فى مجال إحياء التراث العربى الإسلامى .

٥- إصدار نشرة دورية عما طبع ويطبع من المخطوطات ، والإشارة الى ما هو معد منها للطبع» .

-٥ -

ورغم قلة الإمكانات والظروف الصعبة ، فقد انطلق المركز منذ قرار إنشائه (١٩٨٩) ، يؤكد وجوده ، ويعمل على تحقيق أهدافه ، وقد حقق خلال تلك الفترة الوجيزة :-

١- تشكيل مجلس الإدارة الذى يضم خيرة المشغولين بهذا الجانب من رجال الجامعات وكبار الباحثين .

٢- تشكيل نواة الجهاز الإدارى ، الذى يعمل على تنفيذ مقترحات مجلس الإدارة .

٣- إعداد المكان اللائق .

٤- إعداد البنية الاساسية من أثاث وغيره .

٥- إعداد الكثير من الأجهزة المتمثلة في : أجسهزة قراءة ، وأجهزة قراءة وطبع ، وآلات تصـوير ... الخ .

٦- إعداد مكتبة كبيرة تحتوى على العديد من المصادر والمراجع .

٧- قبـول الإهداءات المتمثلة فى بعض المخطوطات ، أو صـور منها ، أو بعض المؤلفـات .

٨- وفى هذا الصدد فقد قبل المركز المكتبة الخاصة بكل من الاستاذ الدكتور يوسف أبو الحجاج ، والشيخ أحمد اسـماعيل ، والمكتبة المهداة من مركز الوحدة العربية .

٩- القيام بالبعثة الأولى لمسح المخطوطات فى محافظة قنا وإعداد تقرير عنها سوف يصدر فى العدد الأول من مجلة المركز ، وسيتم بعد ذلك مسح المخطوطات فى جميع محافظات الصعيد وفهرستها ، ونشر الفهارس فى المجلة .

١٠- الاعداد لإصدار العدد الأول من مجلة المركز .

١١- وضع خطة لتحقيق بعض المخطوطات .

- ٦ -

وتجئ الفقرة الأولى من المادة الثانية ، فتشير إلى أهم الأهداف : -

« ١- جمع وتصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية وإعدادها للتحقيق ، ونشرها بطريقة علمية صحيحة »

وتأتى أهمية هذا الهدف فى أنه يمثل الحصيلة الآخيرة ويجئ حتى فى المراكز العريقة فى مرحلة متأخرة .

ومع ذلك وبفضل حماسة مجلس الادارة ، وتخصص الكثير من أعضائه في هـذا الميدان ، فقد وضع المركز وفي تلك الفترة المبكرة خطة نشر .

-٧-

ويأتى كتاب «نزهة الطـرف فى علم الصرف» ليمثل «الكتاب الأول» من منشورات المركز .. ومن هنا كان مؤلفه هو ابن هشام النحوي المصري ، ومن هنا كان محققه الدكتور أحمد هريدي .

-٨-

وأهمية علم الصرف فى أنه يقوم على رصد التغيير الذي يمس بنية الكلمة ، وهو هنا مساو لعلم النحو ، فالنحو يهتم بأواخر الكلمات أما الصرف فهو يهتم بما قبل الآخر . بل فى ظنى يأتى الصرف فى المنزلة الأولى قبل النحو ، فقد يمكن التحايل على النحو من خلال قاعدة «سكن تسترح» ، أما الصرف فلا يمكن التحايل عليه ، لأنه يمس بنية الكلمة .

إن الكلمة العربية لا تتغير فقط عن طريق السوابق واللواحق ، شأن كثير من اللغات (الانجليزية مثلا) ، ولكنها تتغير من خلال البنية الداخلية ، والبحث فى هذا التغيير كما يفعل الصرف إنما هو بحث فى جوهر اللغة العربية لا يمكن الاستغناء عنه ، وهو يفيد فى الوصول إلى القواعد العامة التى تحكم هذا التغيير من ناحية ، وهو مفيد من الناحية الأخرى فى عملية الاشتقاق التى تنهض باللغة العربية .

نحن هنا وبعبارة أخرى إزاء القضية التى يتحدث عنها المعاصرون تحت عنوان «الأصالة والمعاصرة» ، فالأصالة تتبدى فى الوصول إلى القواعد العامة التى تحكم التغيير ، والمعاصرة تتم فى عملية التغيير نفسها ، والتى لا تتم عشوائيا ولكن من خلال قواعد عامة .

ومع ذلك فقد لقى النحو اهتماما أكثر من الصرف ، وتحول الصرف عند الكثيرين إلى أبواب تدرس فى ثنايا كتب النحو ، وإلى قواعد تحفظ ولا يقاس عليها ، وتعمل على تنشيط الذهن دون أن يكون لها أثر فعلى فى نهضة اللغة العربية .

ومن هنا حين يجئ الكتاب الأول عن الصـــرف ، فإنه يحمل دعوة إلى الاهتمام بفن الصرف ، ومن ثم دعوة إلى تطوير اللغة العربية ، ومن خلال التفهم لفلسفتها العامة .

أما ابن هشام مؤلف الكتاب فهو «أنحى من سيبويه» كما يقول ابن خلدون ، وهو يمثل علماً بارزاً فى المدرسة المصرية النحوية ، ويورد محقق الكتاب مقدمة تحدد شيوخ ابن هشام وآله وتلاميذه ، ويتضح من هذه المقدمة أننا إزاء مدرسة قد تركت بصمتها على الفكر العربى ، وخلال أجيال متعاقبة .

ولم يقتصر عطاء ابن هشام على صنع التلاميذ وحفز الأجيال ، بل امتد إلى ناحية اخرى لاتزال حية حتى يومنا هذا ، متمثلة فى ذلك الفيض من المؤلفات التى يحصيها المحقق لتصل إلى اثنين وعشرين مؤلفا أو خمسين إن أضفنا المؤلفات التى نسبت إلى ابن هشام وتلك التى تصل إلينا .

ويأتى هذا الكتاب الجديد فيضاف إلى تلك المكتبة الغنية ، وهو كتاب لا يقتصر على فائدته التعليمية شأن الكثير من كتب ابن هشام ذات الطابع التعليمى السهل ، بل تمتد فائدته فى تمحيص آراء ابن هشام خاصة وانه أول كتاب مستقل - يصل إلينا - عن الصرف يجمع آراء ابن هشام ، وأن الناسخ قريب عهد بابن هشام ولا يفصل بين نسختيهما سوى واحد وثلاثين عاما ، فقد انتهى ابن هشام من نسخته سنة ٧٤٣ هـ ، وانتهى الناسخ من نسخته سنة ٧٧٤ هـ .

والكتاب مفيد أيضا فى تتبع تاريخ علم الصرف ، وفى تحديد مصطلحاته ، وقد أورد المحقق دراسة قيمة عن مصطلحى «الصرف والتصريف» وقد أمده هذا الكتاب بالكثير الذى ساعده على جلاء هذين المصطلحين .

أما محقق هذا الكتاب فهو الدكتور أحمد هريدى عضو مجلس ادارة المركز ، وله باع طويل ومتنوع فى مجال التحقيق وفهرسة المخطوطات والبحوث اللغوية ، أما إن باعه طويل فهو يمتد إلى قرابة ربع قرن ممارسا لهذا النوع من البحث العلمى . واما أنه متنوع فهو يظهر فى إلقاء نظرة خاطفة على بعض مؤلفاته ، سواء فى مجال التحقيق أو الفهرسة أو البحث :

* كتاب المذكر والمؤنث لابن التسترى «تحقيق» .

* برنامج قراءات ولى الدين جارالله «تحقيق» .

* تلخيص كتب أرسطو في المنطق لابن رشد (المقولات - العبارة - القياس - الجدل - الشعر) «تحقيق بالاشتراك»

* قائمة المخطوطات العربية لمجموعة عينتابى «فهرسة» .

* مخطوطات دار الكتب المصرية «فهرسة» .

* نشوء الفعل الرباعى فى اللغة العربية «دراسة» .

* ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو المعجم العربى «دراسة» .

ويأتى كتابه الجديد «نزهة الطرف فى علم الصرف» بعد تلك الرحلة الطويلة من الدرس والتحقيق ، فيحوله على الرغم من صغره إلى عمل علمى ضخم ، ويضيف إليه الفهارس والتعليق ، ويصدره بدراسة لا تقل أهمية عن الكتاب نفسه ، ويتم كل ذلك من خلال منهج علمى يقول عنه صاحبه :-

«وقد قمت بتقديم النص مضبوطا محررا ، وأكملت ما كان قد سقط من نصوص فى المخطوط ، نتيجة انتقال نظر الناسخ عند نقله النص من المخطوطة التى نقل عنها ، أو لعدم دقته فى إدخال ما كان بالحواشى فى موضعه الصحيح ، مما ترتب عليه بعض الخلل فى العبارات . وقمت بتصحيح الكثير من أخطاء الناسخ فى رسم الكلمات ، فهو كثير التصحيف والتحريف لما ينقل ... ولتوثيق نصوص الكتاب وفى محاولة لتعرف مصادر ابن هشام فى كتابه هذا ، قمت بمراجعة نصوص الكتاب على أبرز كتب النحو والتصريف .. وقمت بتخريج النصوص القرآنية والآثار النبوية والأمثال التى استشهد بها ابن هشام ، بالإضافة إلى تخريج النصوص الشعرية .. ثم صنعت للنص الفهارس الفنية اللازمة» .

-١١-

والمركز سعيد بهذه الباكورة ، سعيد بالمؤلف والمحقق معاً ، وستمده تلك السعادة بطاقة هائلة تدفعه إلى مواصلة الطريق .

-١٢-

حقا ، إن الصعاب قوية ، تتمثل باختصار فى صعاب مالية وأخرى فنية

أما الصعاب المالية فلا قبل لنا بها ، إلا اذا اقتنع المسئولون بأن هذه الأعمال حضارية بالدرجة الأولى ، تحتاج إلى المزيد من التضحيات وإلى صبر فى انتظار النتائج .

أما الصعاب الفنية فهى تتلخص فى قلة الكوادر فى مجتمع الصعيد ، خاصة وأن الميدان شاق ، لا يجذب الشباب الذى يبحثون عن الربح السريع ويجرون وراء الأضواء .

وقد أدركت لائحة المركز هذه الصعوبة ، فنصت فى الفقرة السادسة من المادة الثانية على هدف واضح ومحدد :-

«٦- تدريب جيل من الباحثين فى مجال تحقيق التراث وإحيائه» .

ولبلورة هذه المادة فى صورة عملية ، فإن الجهود تبذل الأن لإنشاء دبلوم «تحقيق المخطوطات » يعمل على توفير الكوادر اللازمة .

-١٣-

وكل صعب يهون ، وكل عقبة تثير لدينا حافزا ، وتجعلنا نتقدم خطوة فخطوة .

ونحن فى انتظار اليد التى تمتد الينا ، ليكون لنا فى لقاء الأيدى مسيرة تجتاز الطريق بحب ومثابرة ووعى بالرسالة .

والله الموفق .

المنيا ٦/ ١٠/ ١٩٩٠م

أ . د . عبدالحميد ابراهيم
رئيس مجلس ادارة المركز
وعميد كلية الدراسات العربية